فإذا نظرت بعين الحقيقة رأيت سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الإفرنج ناقصة أو مجهولة بالكلية عندنا . ومن جهل شيئا فهو دون من أتقن ذلك الشئ ، وكلما تكبر الإنسان عن تعلمه شيئا مات بحسرته » (٨) .

هذا المشروع العلمى المعرفى الاجتماعى الذى طرحه الطهطاوى كمشروع مستقبلى لتخليص المجتمع المصرى من تخلفه، وقام بنفسه بتنفيذ جزء كبير منه فى مؤلفاته ومترجماته وإدارته لمدرسة الألسن ورعايته العلمية لخريجيها - ألا يمكن أن يبنى دستور الدولة الحديثة أو ما ينقص الدولة الحديثة أو ورقة عمل مستقبلية ؟

ولتقريب صورة الغرب إلى الذهن الشرقى لم يلجأ إلى منهج سردى فى كتابه يروى فيه عن حضارة الغرب ما يثير شغف المشرقيين لمحاكاته ، بل نهج منهجاً « وصفياً » ، فبذل جهدا كبيرا فى تصوير أشياء بسيطة كأنه يقدم « طريقة عمل » لعل الناس فى وطنه يتنفعون بها . واهتم بالحديث عن أشياء بسيطة من وسائل تيسير الحياة اليومية للإنسان وراحته ، كما اهتم بنقل ما رأى من نواتج الآلية العملية الغربية ، وأساليب الحياة الاجتماعية ونظمها . كان الطهطاوى يضع عينه دائما على الشرق